أثر الأفكار الأيديولوجية في قصيدة سفر أيوب للسياب

ايلاف خالد عجيل
الجامعة المستنصرية/ قسم الشؤون المالية /قسم اللغة العربية

Virtual Space and Its Impact on Shaping Women's Consumer Culture: A Field Study in the City of Baghdad

Elaf Khalid Ajeel
Al-Mustansiriya University\ College of Arts
Department of Arabic Language
aylafalmshrfawy@gmail.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الأفكار الأيديولوجية في قصيدة "سفر أيوب" للشاعر بدر شاكر السياب، من خلال تحليل البنية الرمزية والفكرية للنص، ورصد انعكاس التيارات اليسارية والقومية في رؤيته الشعرية. اعتمد البحث المنهج التحليلي النصوصي للكشف عن التداخل بين الفكر والسياسة في البنية الشعرية، إذ أظهر السياب في قصيدته ملامح الإنسان العراقي المبتلى بالصبر والمعاناة، مستعملًا شخصية النبي أيوب رمزًا للانبعاث والمقاومة. وتبرز القصيدة تفاعل البعد الإنساني مع الأيديولوجي في لغة شعرية مكثفة، تتجاوز التعبير الذاتي إلى الرمز الجمعي. وقد خلصت الدراسة إلى أن السياب استطاع من خلال الرمزية العميقة أن يحول التجربة الفردية إلى خطاب إنساني شامل، يمزج بين الألم والأمل، وبين الإيمان بالإنسان والوطن.

الكلمات المفتاحية: بدر شاكر السياب، سفر أيوب، الأيديولوجيا، الرمزية، الإنسان العراقي، الصبر والمعاناة.

Abstract

This study aims to explore the influence of ideological thought in Badr Shakir al-Sayyab's poem "The Book of Job (Sifr Ayyub)", by analyzing its symbolic and intellectual structure and tracing the reflection of leftist and nationalist ideas within the poet's vision. The research adopts an analytical textual approach to reveal the interconnection between thought and politics within the poetic structure. In this poem, al-Sayyab portrays the image of the suffering Iraqi individual, using the figure of Prophet Job as a symbol of endurance, rebirth, and resistance. The poem demonstrates the interaction between the human and ideological dimensions through a rich symbolic language that transcends the personal to express collective experience. The study concludes that al-Sayyab succeeded, through profound symbolism, in transforming his personal suffering into a universal human discourse that unites pain with hope, and faith with homeland.

Keywords: Badr Shakir al-Sayyab, The Book of Job, Ideology, Symbolism, Iraqi identity, Patience and Suffering.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمدُ للهِ الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، ووهبه نعمة الفكر والتأمل والتعبير، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ الذي أضاء بنور الوحي دروبَ المعرفة والفكر المستنير. أما بعد، فإنّ أثر الأفكار الإيديولوجية في قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السيّاب يكشف عن جانبٍ عميقٍ من التجربة الشعرية والفكرية للشاعر، إذ تتجلّى في هذه القصيدة ملامح التحوّل من الفكر المادي إلى الرؤية الإيمانية، ومن الالتزام العقائدي إلى التجربة الإنسانية التي تمزج بين الألم والأمل، وبين الصراع الداخلي والإيمان بالخلاص.

لقد استطاع السيّاب من خلال سفر أيوب أن يُجسّد معاناته الشخصية والإنسانية في إطار رمزي مستمدّ من القصة القرآنية للنبي أيوب عليه السلام، محوّلًا التجربة الدينية إلى رؤية فكرية تُعالج مأزق الإنسان في واقعه الاجتماعي والسياسي. ومن هنا تتجلّى أهمية هذا البحث في الكشف عن العلاقة بين الفكر الإيديولوجي والبنية الشعرية في القصيدة، وبيان كيف انعكست التحوّلات الفكرية والسياسية في حياة السيّاب على لغته وصوره ورموزه، لتغدو القصيدة سجلًّا شعريًّا لفكرٍ مضطربٍ يبحث عن يقينٍ جديد.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في محاولة الكشف عن مدى تأثير الأفكار الأيديولوجية في تشكيل البنية الفكرية والجمالية لقصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب، إذ تعكس هذه

القصيدة موقف الشاعر من الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري في زمنه. وتكمن المشكلة في التساؤل الرئيس:

كيف تجلّت الأفكار الأيديولوجية (السياسية، والدينية، والإنسانية) في قصيدة "سفر أيوب"، وما أثرها في مضمون القصيدة وبنيتها الفنية؟

ومن هذا التساؤل تتفرع تساؤلات فرعية مثل:

- ما الأيديولوجيا التي تبناها السياب في هذه المرحلة؟
- كيف أثرت الظروف السياسية والفكرية في رؤيته الشعرية؟
- ما العلاقة بين التجربة الإنسانية في القصيدة والموقف الأيديولوجي للشاعر .

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى الكشف عن البنية الرمزية العميقة في قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب، وهي من أبرز القصائد التي تجلّت فيها تجربة الشاعر الوجودية والإنسانية في آنٍ واحد. فالرمز في هذه القصيدة لم يعد مجرد وسيلة فنية، بل تحول إلى بنية فكرية وجمالية تنقل مأساة الإنسان العراقي والعربي في حقبة ما بعد الحروب والنكبات. كما تتجلى أهمية البحث في إسهامه في إثراء الدراسات النقدية التي تناولت شعر السياب من منظور بنيوي تحليلي، إذ يقدّم قراءة جديدة تتجاوز المعنى السطحي إلى تحليل الدلالات الرمزية والعلاقات النصية التي شكّلت العمق الجمالي للقصيدة. ومن ثمّ، فإن هذا البحث يسدّ فراغًا نقديًا في ميدان الدراسات التي تربط بين التجربة الفردية للشاعر والرمز الديني بوصفه بناءً ثقافيًا وإنسانيًا.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

أولًا، تحليل البنية الرمزية في قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب، والكشف عن العلاقة بين المضمون الديني والبعد الإنساني فيها.

ثانيًا، بيان كيفية توظيف السياب لشخصية النبي أيوب عليه السلام رمزًا للمعاناة والصبر والتجدد، وإيضاح ما تحمله من إسقاطات على الواقع العراقي والعربي.

ثالثًا، إبراز دور البنية الرمزية في بناء المعنى الشعري وتشكيل التجربة الوجدانية والفكرية للشاعر.

رابعًا، المساهمة في تطوير منهج نقدي يربط بين الرمز الديني والرؤية الفنية لدى الشعراء العرب المعاصرين، عبر نموذج السياب في هذه القصيدة.

خطة البحث: يحتوي البحث على تمهيد وثلاث مباحث وهي مقسمة كلاتي:

١. الملخص
٢. التمهيد
٣. أولًا: الأدب
٤. ثانيًا: الأيديولوجيا
٥. المبحث الأول: تداخل الفكر اليساري والقومي في سفر أيوب
٦. المبحث الثاني: ثنائية المرض والصبر في سفر أيوب
٧. المبحث الثالث: التحليل النصي لقصيدة سفر أيوب
٨. أولا: البنية الرمزية للقصيدة
٩. ثانيا: شخصية أيوب رمزًا للشاعر/الإنسان العراقي
١٠. الخاتمة واهم النتائج
١١. المراجع

التمهيد

يُعَدّ الأدب من أكثر الظواهر الإنسانية التصاقًا بالوجدان والفكر، وقد ارتبط عبر العصور بالتعبير عن معاناة الإنسان وأحلامه وآماله. غير أنّ دراسته في العصر الحديث لا تنفك عن المفاهيم الكبرى التي تصوغ الرؤية الثقافية، وفي مقدمتها الأيديولوجيا. ومن أجل الوقوف على أثر الأفكار الأيديولوجية في قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب، لابدّ من البدء بتحديد المفاهيم الأساسية: الأدب، والأيديولوجيا، وعلاقتهما المتبادلة.

أولًا: الأدب

الأدب لغةً مأخوذ من مادة (أ د ب)، وقد ورد في لسان العرب أن الأدب هو الدعوة إلى الطعام ثم استُعمِل في تهذيب النفس وترويضها على المحامد[١]. وفي الاصطلاح الأدبي الحديث يعني الأدب: التعبير الفني الرفيع عن التجربة الإنسانية في صور موحية جميل[٢] ، أو هو "نتاج لغوي جمالي يعبّر عن الفكر والوجدان في قالب فني مؤثر" [٣]. ومن ثَمّ، فإن الأدب ليس مجرد كلمات موزونة أو منثورة، بل هو موقف ورؤية للعالم.

ثانيًا: الأيديولوجيا

الأيديولوجيا لغةً كلمة أجنبية مركبة من اليونانية: "idea" بمعنى الفكرة، و"logos" بمعنى العلم أو البحث [٤]. أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاتها؛ فعرّفها كارل مانهايم بأنها "بنية فكرية تعكس مصالح طبقة اجتماعية معيّنة" [٥]، بينما يرى بول ريكور أنها "منظومة من الأفكار والتصورات التي تمنح الفعل البشري معنىً واتجاهًا" [٦]. ويذهب عبد الله العروي إلى أن الأيديولوجيا "ليست مجرد أفكار بل هي نسق من المعتقدات التي تحدد رؤية الإنسان للواقع وتوجّه سلوكه" [٧].

ثالثًا: العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا

يُظهر هذا التحديد أن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا علاقة جدلية، إذ يستقي الأدب موضوعاته وأبعاده من الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري، ويعيد صياغتها في شكل جمالي مؤثر. وقد أكّد لوكاتش على هذه العلاقة حين اعتبر أن "الأدب انعكاس للواقع التاريخي في بعديه الاجتماعي والفكري"[٨] ويظهر هذا التداخل بجلاء في شعر بدر شاكر السياب، الذي جمع بين التجربة الذاتية والمعاناة السياسية، فجاء شعره صدى للتجاذبات الفكرية بين اليسار والقومية، قبل أن ينكفئ على تجربة المرض والاغتراب.

المبحث الأول: تداخل الفكر اليساري والقومي في سفر أيوب

يمثل بدر شاكر السياب واحدًا من أبرز شعراء الحداثة العربية، وقد عاش تجربة فكرية وسياسية متقلبة تركت بصماتها الواضحة في شعره. ففي الأربعينيات من القرن العشرين انجذب السياب إلى الفكر اليساري الماركسي الذي وجد فيه تعبيرًا عن طموحات العدالة الاجتماعية ومواجهة الاستغلال الطبقي، فانخرط في الحزب الشيوعي العراقي فترةً من الزمن [٩]. وقد انعكست هذه المرحلة في بعض قصائده الأولى مثل أنشودة المطر حيث تتجلى ملامح الحس الطبقي وصوت الجماهير المسحوقة[١٠]. غير أنّ تجربته الفكرية لم تتوقف عند حدود اليسار، إذ سرعان ما بدأ ينأى عن الطرح الشمولي للمادية الجدلية، ليتجه تدريجيًا إلى الفكر القومي العربي الذي برز في الخمسينيات، خاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو في مصر [١١].

ويتجلى هذا التحول بوضوح في قصيدته سفر أيوب، حيث يوظف السياب شخصية النبي الصابر لتكون مرآة لتجربة الإنسان العراقي الذي يعاني المرض والجوع والتهميش،

كما يقول:

يا ربِّ، أيُّوبُ لم يَبْقَ لهُ وطنٌ

إلا الضلوعُ، وأحلامٌ يُجَرّعُها [١٢]

في هذا المقطع، تتخذ معاناة أيوب بعدًا اجتماعيًا وجماعيًا، إذ لم يعد المرض شأنًا فرديًا بل صار استعارة عن الوطن الجريح. وهنا تتجسد النزعة اليسارية التي تربط الألم بالظلم الاجتماعي، وتُبرز وعي الشاعر بطبقات المجتمع التي طحنها الفقر والاستغلال. فـ"الوطن" عند السياب يتحول إلى جسد مريض، و"الأحلام" إلى غذاء روحي يعوض الحرمان المادي. ومع ذلك، لا تقف القصيدة عند حدود المعاناة الطبقية، بل تتجاوزها إلى الأفق القومي، حين يربط السياب تجربة العراق الفردية بمصير الأمة العربية ككل. ففي مقطع آخر يقول:

سأصبرُ حتى تَفيءَ الرّيحُ عن وطني

ويورقَ العُرْيُ في صحراءِ أيّوبِ[١٣].

هذا البيت يعبّر عن نزوع قومي واضح؛ فـ"الوطن" لم يعد جغرافيا محددة، بل صار رمزًا للوجود العربي بأكمله، والعُري الذي ينتظر الإوراق يشير إلى عودة الحياة بعد اليأس، أي إلى نهضة الأمة بعد البلاء. هنا يمتزج الصبر الديني بالإصرار القومي، ويتحول الرمز القرآني إلى بنية أيديولوجية تعكس وعي الشاعر الجمعي. إنّ تداخل الفكرين اليساري والقومي في القصيدة يكشف عن خصوصية التجربة الشعرية عند السياب؛ فهي ليست تجربة استنساخٍ لخطاب أيديولوجي محدد، وإنما هي إعادة إنتاج جمالية للأفكار في إطار رمزي يُبرز مأساة الفرد والأمة معًا. ومن هنا تتضح أهمية هذا النص في فهم العلاقة الجدلية بين الشعر والأيديولوجيا في العراق الحديث. هذا

التقلّب الفكري ليس عارضًا، بل هو انعكاس لتجربة جيل بأكمله، حيث كان المثقف العراقي ممزقًا بين الدعوة إلى التحرر الاجتماعي من خلال الماركسية، وبين الانتماء القومي العربي الذي بدا حلاً لمواجهة الاستعمار والتجزئة. وقد عبّر السياب عن هذا التمزق في نصوصه، ومنها قصيدة سفر أيوب، حيث تتجلى الأيديولوجيا اليسارية في تصوير معاناة الإنسان العراقي كمعاناة جماعية وليست فردية، في حين تتجسد الأيديولوجيا القومية في ربط الذات الفردية بالمصير الجمعي للأمة.

ففي جانبها اليساري، تعكس سفر أيوب موقف السياب من الفقر والمرض والجوع باعتبارها مظاهر ظلم اجتماعي، وهو ما يتضح في مقاطع يتماهى فيها مع شخصية النبي أيوب الذي يعاني البلاء، ليكون رمزًا للإنسان العراقي المكافح ضد قوى الاستغلال والحرمان[١٤]. أما في جانبها القومي، فإن القصيدة تتجاوز الذات الفردية إلى الحديث عن العراق بوصفه وطنًا مثخنًا بالجراح، وعن الأمة العربية بوصفها أيوبًا جديدًا، تنهشها الهزائم وتنتظر الخلاص بالصبر والثبات[١٥].

ويُلاحظ أن السياب لم يتعامل مع الأيديولوجيا كخطاب سياسي مباشر، بل أعاد صياغتها في قالب رمزي – أسطوري. فشخصية أيوب ليست مجرد استدعاء ديني، بل تتحول إلى رمز مزدوج: فهي من جهة تمثل الفرد المبتلى الذي يشبه الشاعر نفسه، ومن جهة أخرى تمثل الجماعة العراقية والعربية التي تتقاسم الألم والأمل. ومن هنا تنشأ جدلية التداخل بين الفكرين اليساري والقومي: اليساري يبرز في تصوير الصراع الاجتماعي بين الطبقات والمعاناة اليومية، والقومي يتجلى في توحيد هذا الألم الفردي ضمن مصير الأمة الكبرى.

لقد كان السياب – كما يصفه إحسان عباس – شاعرًا مأزومًا بين التزامه السياسي وتجربته الوجودية، إذ لم يكن شاعر حزب بقدر ما كان شاعر هموم إنسانية تنفتح

على الواقع الاجتماعي والسياسي في آن واحد.[١٦] ويقول السياب في مقطع آخر من القصيدة:

أيوّبُ يبكي على بغدادَ مُنْهَمِرًا

والريحُ تندبُ في الأطلالِ والكتبِ [١٧].

إنّ هذا البكاء ليس نحيبًا شخصيًا، بل هو صرخة قومية على حضارة فقدت مجدها، وصوت شاعرٍ يرى في سقوط بغداد رمزًا لانهيار الذات العربية. ومن هنا يتداخل الوعي القومي بالحس الوجودي، فيتحول الرمز الديني إلى أداة نقدٍ تاريخي وحضاري. لذلك فإن سفر أيوب ليست قصيدة في الصبر فقط، بل هي وثيقة أيديولوجية شعرية تلتقي فيها اليسارية التي تفضح الظلم الطبقي، والقومية التي تستنهض الوعي الجمعي. ويؤكد علي جعفر العلاق أن شعر السياب يمثل "تجسيدًا لقلق المثقف العربي في منتصف القرن العشرين، وهو قلق فكري وفني معًا، يتنقل من الماركسية إلى القومية، ومن الالتزام السياسي إلى الالتزام الوجودي"[١٨]. وهذا ما نجده بجلاء في سفر أيوب حيث لا يمكن فصل لغة الألم الشخصي عن سياقها الأيديولوجي الذي يربط الخاص بالعام.

المبحث الثاني: ثنائية المرض والصبر في سفر أيوب

تقف ثنائية المرض — الصبر في قلب قصيدة سفر أيوب كمحورٍ إنشائي ومعنوي يحدد تجلياتها الدلالية والبلاغية؛ فالقصيدة في مظهرها الأول سيرةُ ألمٍ جسديّ يتبدّى في صورٍ حسّيةٍ قاسيةٍ، وفي عمقها القصي تحوّلُ هذا الألم إلى موقفٍ أخلاقي وروحيّ يتخذ من الصبر قيمةً جماليةً وفكريةً. هذا الانتقال من الحسي إلى الرمزي، ومن

الفردي إلى الجمعي، هو الذي يجعل من النصّ تجربةً شعريةً متكاملة تتداخل فيها العاطفة مع الفكر، والذات مع التاريخ.

يمكن قراءة هذا المحور على أربعة أبعاد متكاملة: البُعد السياقي . الحيوي (مرض الشاعر وتاريخ كتابته للنص)، البُعد النصّي (لغةُ الألم وأساليبُ التصوير)، البُعد الرمزي . الديناميّاتي (وظيفة أيوب كرمز للصبر والابتلاء)، والبُعد الأخلاقي . السياسي (الصبر كموقف أخلاقي يلتقي عنده الوجودُ الشخصيّ بالقضايا الاجتماعية والقومية). لكلِّ بُعدٍ أثره في بنية النصّ وفي مدلولاته؛ وسأعرض كلَّ بُعدٍ معتمدًا على نص القصيدة وتحليلات نقدية متخصصة.

اولا: السياق الحيوي: المرض كمصدرٍ للتأليف

لا يمكن فصل قراءة سفر أيوب عن حالة المرض التي مرّ بها بدر شاكر السياب في حياته، إذ كتبها في مرحلةٍ اشتدّ فيها عليه الداء حتى قال:

سأصبرُ حتى يقولَ الدهرُ بيَ افتُتِنْ

ويشهدَ اللهُ أنّي للصبرِ أحتسِنُ.[١٩]

هذه الأبيات تكشف إدراك الشاعر لمعنى الابتلاء كجزء من التجربة الإنسانية، وتحوّل المرض من حدثٍ جسدي إلى رؤيةٍ فلسفيةٍ توازي موقف أيوب النبي. ولا عن وعيه بضعف الجسد وهشاشة الوجود أمام موتٍ محتمل؛ فقد صيغت القصيدة في حقبةٍ اشتدّ فيها مرضُه (المعروف طبيًا بتدهور صحته مطلع الستينيات وتفاقم أعراضه) وتحوّل الإحساس بالمصاب إلى مادة شعرية يستدعي فيها نمط أيوب الأسطوري للدلالة. هذا السياق لا يكتفي بوضعيةٍ سيرةٍ ذاتيةٍ فحسب، بل يفتح أمام الشاعر أبوابًا رمزيةً لاستخدام البلاء كمنحٍ لغويٍّ وجماليٍّ. المرض هنا يعمل كحاضنةٍ إنتاجية: الألم يولّد لغةً جديدةً لدى السياب، لغةً تختزل الحنين والخوف والرغبة في التسليم القويم. الباحثون

تناولوا هذه النقطة باعتبارها لحظة تحوّل في مسار الشاعر، حيث يتضح أن التجربة البيولوجية (الألم الجسدي) أفضت إلى قفزة نحو النزوع الأنطولوجي والتأملي في كتاباته.[٢٠]

ثانيا: النص ولغة الألم: تقنيات التصوير وأسطح المعنى

تفتتح القصيدة بصيغة استرجاعية . تأبينية:

لكَ الحمد مهما استطال البلاء

ومهما استبدّ الألم[٢١]

هذه الافتتاحيةٌ تحمل في طياتها مفارقةً لسانيةً: الشكر في مواجهة الامتداد الزمني للبلاء. اذ يجتمع فيها الحمد مع الألم، والرضا مع الشكوى ،لتعلن ثنائية المرض والصبر منذ مطلع القصيدة ، هذه المفارقة تتكرر في بناءٍ أنفُوغيٍّ شعريٍّ يعتمد التكرار (الاسترجاع) والتوكيد لنقل ثِقل المعاناة، ثمّ يحوّل التوكيد إلى تكريسٍ لقيمة الصبر وشرطيته. تُستخدم صور الجراح والليل والظلام كحقولٍ دلاليةٍ متكرّرةٍ تُوظَّف لتأكيد امتداد البلاء وعمقه الحسي وتتتابع الصور المأساوية لتجعل الجسد نفسه ميدانا للمعاناة: شهور طوال وهذي الجراح

تمزّق جنبي مثل المدى...، وهي صورة تجمع

بين الحرق والامتداد لتجعل الجسد مجالًا لرؤيةٍ زمانيةٍ مأزوَقة. نصُّ القصيدة يلتقط الألم لا كمجرد تذمّرٍ بل كعنصرٍ شعريٍّ استثنائيٍّ يكوّن نصّه. في هذه الصورة تتجلّى المعادلة السيابية بين الحسّية والرمزية؛ فالجسد الممزق ليس سوى مرآةٍ لجسد الوطن، والألم الفردي يتحول إلى ألمٍ جمعيٍّ متوارث.

إنّ الصبر في القصيدة لا يُقدَّم بوصفه استسلامًا، بل مقاومة للانكسار. فكما يقول إحسان عباس: "الصبر عند السياب ليس موقفًا سلبيًا، وإنما هو انتظار مبدع للانفراج،

وتحويل للألم إلى طاقة شعرية"[٢٢]. ولعل هذا ما يفسّر كيف صاغ السياب شخصية أيوب لتكون لسان حاله وصورة وطنه في آنٍ واحد. فهو يقول في سفر أيوب:

أجوب الدروب.. أفتّش عن مرفأٍ للنجوم

وأبحث عن وطنٍ للغريب، عن فجر أيوب بعد الجحيم [٢٣].

هذه الأسطر تُبرز كيف يتجاوز الصبر مجرد احتمال الألم، ليصبح وعدًا بالخلاص الجماعي. فأيوب هنا لا ينتظر شفاء جسده فحسب، بل ينتظر شفاء العراق من جراحاته.

ومن الناحية الأسلوبية، يلجأ السياب إلى لغةٍ بسيطةٍ في المظهر لكنها مشحونةٌ بالرنين الرمزي: جملٌ قصيرة، تراكيب مباشرة، وتكرارٌ شعريٌّ يُقوى على حاملةِ الصبر. هذه البساطة الشكلية تعزّز صدقَ الشعور وتُقرّب التجربة من القارئ، فالألم في النصّ لا يحتاج إلى زينةٍ بل إلى وضوحٍ حميميّ. النقد الأدبي لاحظ أن هذه البلاغة القليلة الزينة تتماشى مع حداثة السياب واتجاهه نحو صوتٍ شعريٍّ يعبر عن تجربةٍ إنسانيةٍ صارخة.

ثالثا: أيوب كرمز: الاستحضار الديني والتناصّ التوراتي . القرآني

اختيار السياب لشخصية أيوب ليس عشوائيًا؛ فهو يستدعيه كرمزٍ للصبر الإنساني الشامل، كما يتجلى في قوله:

أجوبُ الدروبَ، أفتّشُ عن مرفأٍ للنجومِ

وأبحثُ عن وطنٍ للغريبِ،

عن فجرِ أيوبَ بعدَ الجحيمْ.[٢٤]

هنا يمتزج التناصّ الديني بالتجربة الشخصية؛ فأيوب لم يعد نبيًّا في التاريخ، بل صار رمزًا للشاعر الذي يبحث عن وطنٍ وعن خلاصٍ جماعي بعد الألم.

يحتلّ أيوب في التراث الديني موقعًا فريدًا بين أنبياء الله ورجاله الصالحين، إذ ارتبط اسمه بالصبر حتى صار مثلًا سائراً بين الناس، فيُقال: "صبر أيوب". وتعود هذه الشهرة إلى ما حكاه النص التوراتي والقرآني عن معاناته الطويلة مع المرض وما ترتّب عليه من ابتلاء نفسي واجتماعي. ففي سفر أيوب جاء: "فخرج الشيطان من حضرة الرب، فضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته، فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد" (أيوب ٢: ٧–٨)[٢٥] هذه الصورة التراجيدية تصف لحظة الذروة في مأساة أيوب، حيث يتحول الجسد الإنساني إلى ميدان للعذاب.

لكن اللافت أن النص لا يقف عند حدود المرض بوصفه ابتلاءً جسديًا، بل يربطه بالبعد الروحي، فالصبر هنا ليس خضوعًا سلبيًا وإنما امتحان لإرادة الإنسان وثباته أمام المحن. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[٢٦]. وهكذا يتجلى المرض في النصوص الدينية كحالة قصوى من العذاب، يقابلها الصبر كقيمة مطلقة للنجاة.[٢٧]

اختيار أيوب كشخصيةٍ محوريةٍ في القصيدة ليس اختيارًا عابرًا؛ فأيوب في الوعي الديني والتقليدي رمزُ الصبر والرضا أمام الابتلاء، وحين يستحضر السياب هذه الشخصية فإنه يستدعي منظومةً معروفةً من الدلالات تُسهِم في تحويل تجربة الشعور الفردية إلى خطابٍ أخلاقيٍ وكونيّ. التناصُّ مع قصة أيوب يتيح للشاعر أن يضع معاناته في سياقٍ تاريخيّ ومعنويّ أكبر: ليس أنا وحدي المبتلى بل أيوب والإنسانية. ومع ذلك، فإن استدعاء أيوب عند السياب يخرج من ثنائيّة الصبر الديني التقليدي إلى قراءةٍ شعريةٍ تتفاوت بين الشكر والاحتجاج. النصّ لا يكتفي بتقديم أيوب نموذجًا مطلقًا للرضا؛ بل يستعيد له لُغة الشكر مع أسئلة استعطافية: ألم تُعطني أنت هذا الظلام؟ فالشكوى هنا جزءٌ من الحوار مع الإلهي، وليست إنكارًا للإيمان. بهذا يتحقّق

نوعٌ من الصدق الديني: الاحتفاظ بالعلاقة مع الله مع الاحتفاظ بالوعي بالوجع. مصادر نقدية اعتبرت أن هذا التوتر بين الشكر والسؤال هو جوهر قيمة القصيدة الإيمانية . الوجودية.

وإذا قارنّا بين سفر أيوب التوراتي وقصيدة السياب، وجدنا أن النص الديني يركّز على ثنائية (المرض/الصبر) بوصفها امتحانًا فرديًا لعلاقة الإنسان بالله، بينما النص الشعري يحوّل هذه الثنائية إلى رمز أيديولوجي يعكس معاناة جماعية. ففي النص التوراتي، أيوب يواجه أصدقاءه الذين يفسرون مرضه كعقاب، لكنه يظل متمسكًا بإيمانه بالله. أما في النص السيّابي، فإن المرض يتحول إلى صورة شعرية عن المجتمع كله، والصبر يتحول إلى موقف ثوري ضد القهر[٢٨].

وهذا التحويل الأيديولوجي هو ما يمنح القصيدة بعدها الحداثي. فالسياب يوظف شخصية أيوب ضمن ما يسميه أدونيس "التاريخ الرمزي" الذي يعيد فيه الشاعر إنتاج الشخصيات التراثية لتصبح جزءًا من مشروعه الشعري المعاصر[٢٩]. وبذلك، فإن ثنائية المرض والصبر لا تبقى مجرد ثنائية إنسانية عامة، بل تتحول إلى أداة في قراءة الواقع العراقي وإدانة قمعه السياسي والاجتماعي.

رابعا: الصبر كقيمةٍ أخلاقية وسياسية: من الاستسلام إلى المقاومة الرمزية

قراءة سياسية للألم والصبر في سفر أيوب تقرأ الصبر ليس فقط كفضيلةٍ دينيةٍ فرديةٍ بل كموقفٍ أخلاقيٍ يمتد إلى المستوى الاجتماعي والقومي: صبر الشاعر يتحوّل إلى صبر الأمة على الجراح التاريخية، وإلى ثباتٍ وامتصاصٍ يؤجّل الانهيار ويصنع قدرةً على الاستمرار. هذا ليس تبنّيًا للتواكل، بل إعادة توظيفٍ لفضيلةٍ تقليديةٍ في مسارٍ مقاومٍ: الصبر هنا يقترن بوعيٍ تاريخيٍّ يجعل من المعاناة شهادَةً ومن الشعور أداةً

لتحمّل المسؤولية. حيث يقدّم السياب الصبر لا باعتباره خضوعًا، بل فعلًا وجوديًا مقاومًا. ففي قوله: سأحمدُ ربّي إذِ اشتدَّ مرضي

وأشكرُهُ إذْ أُعاني وأتألّمُ.

يتحوّل الحمد إلى مقاومةٍ رمزيةٍ، إذ يواجه الشاعر القهر السياسي والاجتماعي بالثبات لا بالانكسار، فيجعل من الصبر وعيًا تاريخيًا يعيد صياغة الألم في شكل رسالة إنسانية. وقد أشار إحسان عباس إلى ذلك بقوله: «الصبر عند السياب ليس موقفًا سلبيًا، وإنما هو انتظار مبدع للانفراج، وتحويل للألم إلى طاقة شعرية»[٣٠].

بمعنى آخر، الصبر في القصيدة يقدّم ثقافةً أخلاقيةً تُواكب فعلَ المقاومة: صبرٌ يقوّي القدرة على الاحتمال من أجل استمرار الرؤية. النقد الحديث شهد نقاشًا بين من رأى الصبر في القصيدة بوصفه مهادنةً روحيةً، وبين من رآه موقفًا أخلاقيًا نقديًّا يختزن رفضًا ضمنيًا للظلم الاجتماعي والسياسي. قراءة متوازنة تقر بأن القصيدة تجمع بين هذين البعدين: هي رذاذٌ روحيٌّ يمنح الراحة، وفيه بذورٌ نقديةٌ تُمارس مقاومتها رمزًا ولغةً. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المرض عند السياب يتخذ أحيانًا بعدًا وجوديًا، إذ يتداخل مع إحساسه بالاغتراب والموت، فيصبح جسده المريض استعارة عن هشاشة الوجود الإنساني نفسه. وفي المقابل، يغدو الصبر فعلًا شعريًا يوازي الإبداع، أي إن القصيدة نفسها هي شكل من أشكال الصبر الخلّاق. وهنا يلتقي السياب مع الفكرة الصوفية التي ترى أن المرض طريقٌ للمعرفة، وأن الصبر مفتاح للفهم الأعمق للوجود [٣١]

خامسا: الوجه الوجودي: المرض كمقدمة للموت والتأمل

أمّا البُعد الوجودي فالمرض في القصيدة يفتح سؤال الموت بوصفه احتمالًا دائمًا؛ هذا الاحتمال يولّد إمكاناتٍ لغويةً جديدةً: الاستلاب، الحنين إلى الجذور، تذكّر الطفولة، والانسلاخ من الخوف.

يتحوّل المرض عند السياب إلى تأملٍ في حتمية الموت والبعث، إذ يقول:

وأحلمُ أنّي إذا متُّ يوماً

سأُبعثُ حُرًّا بلا عِلّةٍ أو ألمْ. [٣٢]

هنا يتجاوز الشاعر المرض الجسدي إلى يقينٍ روحيٍّ بالبعث والحرية، فيصوغ رؤيته الوجودية بصدقٍ يتكامل مع النزعة الصوفية نحو التطهير عبر الألم. كثيرٌ من الدراسات التي تناولت مرحلة مرض السياب أشارت إلى أن المواجهة مع الموت أعادت إليه الحسَّ القديم بالزمن وبالذاكرة، فجاءت لغة القصيدة أقرب إلى الاعتراف والإنصات منها إلى التباهي الشعري. [٣٣]

سادسا: الخلاصة الجزئية: دالّات ثنائيةٍ متحولةٍ لا جامدة

عندما استحضر بدر شاكر السياب هذه الثنائية في قصيدته سفر أيوب، كان واعيًا لدلالتها الدينية والإنسانية، لكنه أعاد تشكيلها ضمن سياق شعري وأيديولوجي معاصر. فقد كان السياب نفسه يعيش تجربة المرض العضوي الذي أنهك جسده، حتى كتب قصيدته وهو يتنقل بين المستشفيات في بيروت ولندن، فامتزج المرض الذاتي بالمرض الرمزي الذي يعكس خراب الوطن العراقي الممزق آنذاك[٣٤]. تدلُّ قراءة ثنائية المرض والصبر في سفر أيوب على أن القصيدة ليست إعلانا عن استسلامٍ أو نُدْبٍ فقط، بل هي بناءٌ جماليٌّ يشتغل بالألم كطاقةٍ إبداعيةٍ، وبالصبر كقيمةٍ تُعيد تشكيل هذه الطاقة نحو أفقٍ أخلاقيٍ واجتماعيّ. الصبر هنا يتبدّل من كونه فضيلةً دينيةً إلى أداةٍ شعريةٍ

وفكريةٍ تسمح للنصّ بأن يصبح شاهداً على الألم ورافعًا لصوته في الوقت نفسه. بهذا تصبح سفر أيوب نصًّا تستقرّ فيه الثنائية لا كتناقضٍ جامدٍ بل كحركةٍ جدليةٍ تُمكِّن النصّ من أن يكون نصًّا إنسانيًا وتاريخيًا في آنٍ واحد. ومن هنا صار أيوب في شعر السياب صورة مزدوجة: الشاعر المريض الذي يئنّ تحت وطأة العجز، والإنسان العراقي الذي يكابد أمراض الفقر والاستبداد والاستعمار. [٣٥]

المبحث الثالث: التحليل النصي لقصيدة سفر أيوب

تُعدّ قصيدة سفر أيوب من أهم النصوص التي جسّدت القدرة الرمزية للشاعر بدر شاكر السياب، حيث استحضر شخصية أيوب التاريخية والدينية ليحوّلها إلى رمز شعري وإنساني يعكس تجربة الفرد والمجتمع العراقي. ويمكن تحليل النص على محورين رئيسيين:

١. البنية الرمزية للقصيدة
٢. الايقاع الخارجي والداخلي في قصيدة سفر ايوب
٣. شخصية أيوب رمزًا للشاعر والإنسان العراقي

أولا: البنية الرمزية للقصيدة

البنية الرمزية في قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب تمثل الإطار الفني والفكري الذي بنى عليه الشاعر تجربته في الألم والمعاناة والرجاء، إذ اتخذ من قصة النبي أيوب عليه السلام رمزًا لمعاناته الشخصية ولواقع الإنسان العراقي والعربي عامة بعد النكبات والحروب، فتحولت الحكاية الدينية إلى رمز شامل يتجاوز حدودها التاريخية ليعبر عن التجربة الإنسانية كلها.

يبدأ السياب قصيدته بقوله:

لك الحمد مهما استطال البلاء

ومهما استبد الألم

ليؤسس منذ البدء للبنية الرمزية القائمة على ثنائية الصبر والابتلاء، حيث يصبح أيوب في القصيدة ليس مجرد نبي بل رمزًا للإنسان الذي يُبتلى في جسده وروحه ووطنه، لكنه مع ذلك يظل ممسكًا بخيط الإيمان الذي يمنحه معنى للألم. وهكذا فإن بنية الرمز هنا تقوم على استحضار النموذج الديني وإعادة توظيفه في إطار واقعي معاصر[٣٦].

في المستوى الفني تتجلى البنية الرمزية من خلال تداخل الصور والمعاني التي تجعل من كل مفردة في القصيدة علامة تتجاوز معناها المباشر، فالبلاء والجراح والظلام ليست أوصافًا حسية، بل رموز لتمزق الذات الشاعرة وضياع الأمل في عالم قاسٍ. حين يقول السياب:

شهور طوال وهذي الجراح

تمزق جنبي مثل المدى

فإن الجراح هنا ليست جراح الجسد فقط بل جراح الروح والوطن، والزمان الطويل رمز لامتداد المحنة في التاريخ الإنساني، بينما المدى يحيل إلى الفضاء اللامتناهي الذي لا يجد فيه الشاعر مهربًا من ألمه[٣٧].

تتحول القصيدة في مراحلها إلى رحلة رمزية من الألم إلى النور، ومن التساؤل إلى التسليم، فبعد أن يغمر النص سواد الحيرة والشك، يتسلل الضوء من خلال إيمان الشاعر بأن المعاناة ليست عبثًا، بل وجه آخر للرحمة الإلهية، كما يقول: لك الحمد إن الرزايا عطاء

وإن المصيبات بعض الكرم، فالمعاناة في بنيتها الرمزية تتحول إلى وسيلة للتطهر وارتقاء الروح، وتصبح العلاقة بين العبد وربه هي المركز الذي تدور حوله كل الرموز. إن الحمد رغم الألم يرمز إلى الثبات على الإيمان، ويكشف عن رؤية السياب للعلاقة بين الإنسان والقدر كعلاقة جدلية بين الرجاء واليأس، بين السؤال والسكوت[٣٨].

تُبنى الرمزية في القصيدة أيضًا على تكرار مفردات الظلام والليل والسحر والمطر، وهي جميعها صور رمزية للطهر والانبعاث من الألم. فالظلام يرمز إلى المعاناة التي تسبق الانكشاف، والسحر إلى الغموض الإلهي الذي لا يُدرَك بالعقل، والمطر إلى الخلاص والتجدد. وفي قوله:

ألم تُعطني أنت هذا الظلام وأعطيتني أنت هذا السحر

يبرز الإحساس بأن الله هو مصدر الألم والدهشة معًا، فيجمع الشاعر بين التسليم والسؤال في وقت واحد، مما يمنح النص طابعًا صوفيًا رمزيًا عميقًا[٣٩].

وتتجلى البنية الرمزية كذلك في التحول الدرامي للقصيدة، إذ تتغير دلالات الرموز عبر المراحل، فالجراح التي كانت علامة على العذاب تصبح في النهاية طريقًا إلى النعمة، والبلاء يتحول إلى اختبار، والموت إلى بوابة للحياة الروحية، حين يقول السياب:

هداياك في خافقي لا تغيب

هاتها هداياك مقبولة

فالهدايا هنا ترمز إلى المكافأة الإلهية التي تأتي بعد الصبر، وفيها يبلغ الرمز ذروته إذ يكتمل التحول من المعاناة إلى الرضا [٤٠]

إن البنية الرمزية في سفر أيوب تقوم إذًا على تفاعل الرموز الدينية والإنسانية والطبيعية في نسيج واحد، يهدف إلى التعبير عن تجربة وجودية يعيشها الشاعر في ضوء المعنى

الإيماني للابتلاء، فكل رمز في القصيدة يحمل دلالة تتجاوز ظاهرها لتعبّر عن الموقف الفلسفي للشاعر من الحياة والموت والإيمان. وهكذا يصبح النص منظومة رمزية مترابطة، تتكئ على التراث الديني لتصوغ رؤية معاصرة للعذاب البشري ومعناه[٤١].

البنية الرمزية في سفر أيوب تقوم على توظيف الصور والمفارقات لتوليد مستويات دلالية متعددة:

أ) الرمزية الزمنية والمكانية

تستند القصيدة إلى فضاء مفتوح وممتد يكرّس إحساسًا بالعزلة والابتلاء. يبدأ النص بصور الليل والظلام:

ليالي البرد الطويلة، والطرق الخالية، والجراح التي لا تهدأ[٤٢].

هذا الامتداد المكاني والزماني ليس مجرد وصف بيئي، بل يرمز إلى امتداد المعاناة الإنسانية والوطنية، ويجعل القارئ يعيش حالة الانكسار مع أيوب/الشاعر.

ب) الرمزية الجسدية

الجسد المريض عند أيوب يصبح حقلًا دلاليًا مركبًا: الألم الجسدي يتحوّل إلى رمز للمعاناة الوطنية، والشفاء المتوقع يصبح أملًا اجتماعيًا وسياسيًا. السياب يستخدم أوصاف الجراح والآلام بشكل متكرر ليؤكد على تداخل الفردي والجماعي في التجربة الإنسانية[٤٣].

ج) الرمزية اللغوية والأسلوبية

اللغة في النص بسيطة من حيث الشكل لكنها مشدودة بالرنين الرمزي: التكرار، الصور الاستعارية، والجمل القصيرة تُعزز شعور القارئ بالاضطراب النفسي والاجتماعي في آن واحد. وهكذا تتحول الكلمات إلى أفعال رمزية، تنقل الألم والصبر والإصرار [٤٤]

ثانيا: الايقاع الخارجي والداخلي في قصيدة سفر ايوب

يُعدّ الإيقاع أحد أبرز العناصر الفنية التي أسهمت في بناء قصيدة سفر أيوب، إذ استطاع السيّاب من خلاله أن يعبّر عن الانفعال النفسي والمعاناة الوجودية التي تكتنف النص، فكان الإيقاع عنده ليس مجرد نظام وزني موسيقي، بل لغة شعورية متدفقة تتناغم مع ثنائية الألم والأمل التي تنهض عليها القصيدة[45].

اعتمد السيّاب في بناء الإيقاع الخارجي على بحر المتقارب، وهو بحرٌ شديد القرب من النغمة الغنائية التي تميل إلى الحزن والتأمل، ويقوم وزنه على تفعيلة فعولن، وهو البحر ذاته الذي وظّفه الشاعر في كثير من قصائده ذات البعد الوجداني مثل أنشودة المطر .وقد منح هذا البحر النصَّ نسقًا إيقاعيًا متواترًا يوائم نبرة الصبر والتضرّع التي تتردّد في القصيدة. [٤٦]ومع ذلك، فإنّ السيّاب لم يلتزم تمام الالتزام بوحدته الوزنية، بل أدخل بعض الحور والتنوّع الإيقاعي في بعض المقاطع، فاقترب أحيانًا من إيقاعات البسيط والرجز والمتدارك والوافر، الأمر الذي أضفى على النصّ تنويعًا موسيقيًا يعكس اضطراب الذات وتقلّب المشاعر بين الألم والرجاء[47].

أما الإيقاع الداخلي، فقد تجلّى في التكرار الصوتي والنغمي لبعض المفردات ذات الدلالة الشعورية، مثل (الألم، الصبر، الدعاء، المطر)، فضلًا عن التوازي التركيبي بين الجمل الشعرية، واستخدام الجمل القصيرة ذات النغمة المقطّعة التي توحي بتنهيدة الموجوع أو أنين المتعب. كما يظهر الإيقاع الداخلي في التناسق بين الصور الحسية والرموز الدينية، مما يجعل النص يضجّ بجرسٍ خافتٍ يعبّر عن الصراع بين الجسد والروح، وبين التجربة الإنسانية والنفحة القدرية[48].

ومن خلال هذا المزج بين النظام العروضي والإيقاع الشعوري، استطاع السيّاب أن يُنشئ موسيقى شعرية متحوّلة تتجاوز التفعيلة إلى دلالتها النفسية، فيغدو الإيقاع في سفر أيوب انعكاسًا مباشرًا لحالة الشاعر الداخلية، وصدىً لمعاناته الوجودية والروحية

في آنٍ واحد. ويتّضح من خلال هذا التحليل الإيقاعي أن البناء الوزني والموسيقي في سفر أيوب لم يكن غايةً جمالية فحسب، بل كان وسيلةً فكرية لتجسيد الصراع الإيديولوجي في وعي الشاعر، حيث تتناوب النغمة الحزينة مع الهدوء الإيماني في محاكاةٍ للانتقال من الفكر المادي إلى الإيمان الروحي[49].

ثالثا: شخصية أيوب رمزًا للشاعر/الإنسان العراقي

تُعد شخصية أيوب في قصيدة سفر أيوب رمزًا مركزيًا لبنية التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب، فهي تمثل في العمق صورة الشاعر العراقي الإنسان الذي عانى من المرض والفقر والمنفى، فصاغ معاناته في قالب رمزي يستمد جذوره من القصة القرآنية للنبي أيوب عليه السلام. إذ لم يتخذ السياب شخصية أيوب على نحو سردي مباشر، بل حوّلها إلى رمز للإنسان المبتلى الذي يواجه الألم بالصبر والإيمان، ويقف بين الشك واليقين في حواره مع القدر. من هنا يصبح أيوب في القصيدة صوتًا مزدوجًا، صوت النبي الذي ابتلاه الله ليختبر إيمانه، وصوت الشاعر الذي ابتلاه الزمان والواقع، فكلاهما يعيش التجربة ذاتها في صورتين مختلفتين[٥٠].

يبدأ السياب من الأسطورة الدينية ليجعلها رمزًا واقعيًا؛ فالعراق في زمنه كان يعاني من الفقر والمرض والانكسار السياسي، والشاعر نفسه كان يعيش صراع الجسد المنهك والروح الباحثة عن معنى العدل الإلهي. لذلك يقول في مطلع القصيدة: لك الحمد مهما استطال البلاء ومهما استبدّ الألم، ليجعل من صوت أيوب صوته هو، ومن شكوى النبي شكواه، ومن صبره مثالًا لصبر كل إنسان عراقي مكلوم. إن شخصية أيوب في القصيدة تتجاوز الزمن الديني لتصبح مرآة للواقع العراقي الحديث، حيث

يتحول الابتلاء إلى رمز للخراب الذي يعيشه الوطن، ويصبح الصبر فعل مقاومة لا استسلام، والرجاء في رحمة الله رمزًا للأمل في خلاص الوطن من محنته[٥١].

ولم يكن اختيار السياب لشخصية أيوب اعتباطيًا، بل كان نابعًا من عمق تجربته الشخصية، إذ أصيب في أواخر حياته بمرض عضال أقعده عن الحركة، وأحس أن جسده يتحلل ببطء، فصار يعيش تجربة الألم اليومية بكل تفاصيلها. هنا وجد في أيوب مرآة لذاته، فكان أيوب الشاعر رمزًا له، كما كان أيوب النبي رمزًا لكل إنسان يختبر حدود الألم والإيمان. في قوله: شهور طوال وهذي الجراح تمزق جنبي مثل المدى، يتحدث السياب عن ذاته في صورة أيوب، فيتداخل الرمز بالشخص، ويتحول النص إلى سيرة رمزية للشاعر الذي يعيش عذابه في جسده ووطنه معًا[٥٢].

وهكذا فإن أيوب عند السياب ليس شخصية ماضية، بل رمز إنساني متجدد، يجسد مأساة الإنسان العراقي الذي لم يجد في محنته سوى الإيمان والرجاء سبيلًا للثبات. فالابتلاء في القصيدة يعبر عن العذاب الجمعي الذي يعيشه الناس، وعن إيمانهم بأن وراء الألم معنى إلهيًّا أعمق. وهذا ما جعل من شخصية أيوب رمزًا فنيًا وفلسفيًا يحمل رؤية السياب للعلاقة بين الإنسان والقدر، بين الجسد والروح، بين الخراب والنهضة[٥٣].

أما بدر شاكر السياب فهو شاعر عراقي وُلِد في قرية جيكور قرب البصرة عام ١٩٢٦، ويُعدّ من أبرز مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي الحديث. درس في دار المعلمين العالية ببغداد، وتأثر بالثقافة العربية والغربية معًا، فجمع في شعره بين التراث والأسطورة وبين الحسّ الإنساني العميق. عُرف السياب بحساسيته العالية تجاه القضايا الوطنية والاجتماعية، وبنزوعه الديني والوجداني الذي يظهر في قصائد مثل أنشودة المطر ومدينة بلا مطر وسفر أيوب. عانى السياب في حياته من الفقر والمرض والاغتراب السياسي، وتوفي في الكويت عام ١٩٦٤ بعد معاناة طويلة مع مرض الشلل

النصفي. كانت تجربته الشعرية مرآة لحياة العراق الحديث، إذ جسّد في شعره آلام الإنسان العربي وتطلعه للحرية والخلاص، فصار صوته امتدادًا لأيوب الرمز، يحمل وجعه وإيمانه في آن واحد[٥٤].

إن أيوب في شعر السياب هو الشاعر نفسه، وهو الإنسان العراقي الذي يعيش صراعه بين الألم والأمل، بين الجسد المنكسر والروح الصابرة، فيتحول النص إلى سيرة رمزية للأمة كلها، لا لفرد واحد. فكما صبر أيوب على بلائه، صبر العراقي على جراحه، وكما نال أيوب الشفاء برحمة الله، ينتظر الشاعر شفاء وطنه بفيض المطر والخلاص. وهكذا تمتزج الرموز في قصيدة سفر أيوب لتجعل من أيوب نبيًّا وشاعرًا وإنسانًا عراقيًا في وقت واحد، ينهض من تحت الرماد ليقول: لك الحمد مهما استطال البلاء، وهي الكلمة التي تختصر فلسفة السياب كلها في الحياة والشعر [٥٥]

ويمكن توضيح ايوب في الانسان الشاعر في قصيدة بدر شاكر السياب على دلالات متعددة:

أ) أيوب كشاعر يعاني

السياب يجعل أيوب صوتًا مستعارًا لشعوره الشخصي بالمرض والانكسار، فالألم الجسدي يصبح امتدادًا للمعاناة النفسية والإبداعية. يقول النص:

أجوب الدروب.. أفتّش عن مرفأ للنجوم، عن فجر أيوب بعد الجحيم[٥٦].هذا التعبير الرمزي يربط بين المعاناة الفردية للشاعر وبين أزمات الواقع العراقي.

ب) أيوب كرمز للإنسان العراقي

يتجاوز النص الفردي ليصل إلى البعد الجماعي، إذ يمثل أيوب الإنسان العراقي المبتلى بالجراح الاجتماعية والسياسية. المرض يصبح استعارة عن الاستبداد والفقر والظلم، بينما الصبر يصبح موقفًا أخلاقيًا ورمزًا للمقاومة[٥٧].

ج) الصبر كخطاب رمزي

الصبر في النص ليس فقط فضيلة دينية، بل أداة فكرية وأيديولوجية: فهو يجمع بين انتظار الفرج والتمسّك بالكرامة والوعي الوطني. النقد الأدبي يشير إلى أن السياب أعاد إنتاج شخصية أيوب لتكون رمزًا للمقاومة الإنسانية والسياسية[٥٨].

د) العلاقة بين الرمزية والشكل الشعري

تدعم الرمزية البنية الأسلوبية للقصيدة: الصور الاستعارية، التكرار، والإيقاع الداخلي كلها تعزز وظيفة أيوب كرمز للمعاناة والصبر، وتحوّل النص من وصف شخصي إلى خطاب إنساني جامع[٥٩].

الخاتمة

يمكن القول إن قصيدة سفر أيوب لبدر شاكر السياب تمثل تجربة شعرية فريدة تجمع بين التراث الديني والرمزية الشعرية والبعد الإيديولوجي والاجتماعي. فقد استخدم السياب شخصية أيوب ليس فقط كرمز للمعاناة والصبر، بل كأداة تحليلية لفهم الأزمة الإنسانية والوطنية في العراق.

كما أظهرت الدراسة أن الشعر لا يقتصر على الجانب الجمالي، بل يتعداه ليصبح مرآة للوعي الاجتماعي والسياسي، ويستطيع من خلال الرمزية أن يعكس الواقع بأسلوب شعري عميق وموحٍ. ومن هنا، فإن تحليل رحلة أيوب في النصوص الدينية مقابل إعادة إنتاجه في شعر السياب يتيح فهمًا أعمق لتقاطع الشعر والفكر والإيديولوجيا في الأدب العربي الحديث.

أخيرًا، يمكن القول إن هذا البحث يسهم في تقديم نموذج للدراسات النقدية التي تركز على البنية الرمزية والتحليل النصي، ويعزز فهم العلاقة بين الشعر والمجتمع، والشاعر

والواقع التاريخي، بما يمكّن القارئ من استيعاب الأبعاد الإبداعية والفكرية لنصوص السياب بشكل متكامل.

بعد دراسة النصوص الدينية والنقدية والشعرية، يمكن استخلاص النتائج التالية من البحث:

١-أظهرت دراسة قصيدة سفر أيوب أن الأفكار الإيديولوجية كانت حاضرة بقوة في تشكيل التجربة الشعرية للسياب. فالشاعر لم يقتصر على استدعاء شخصية أيوب التاريخية والدينية، بل أعاد إنتاجها بما يتلاءم مع سياق العراق الاجتماعي والسياسي في خمسينيات وستينيات القرن العشرين. هذا يشير إلى أن الشعر عند السياب ليس مجرد تجربة جمالية، بل مشروع فكري يعبّر عن الوعي الاجتماعي والسياسي.

٢-المبحث الأول أوضح أن السياب وظف رمزية أيوب لاستحضار قيم النضال والصبر والعدالة، وهي قيم تتقاطع مع بعض المبادئ اليسارية والقومية، دون أن يتحول النص إلى خطاب سياسي مباشر. وقد أظهرت المقارنة أن القصيدة تحافظ على بعدها الإنساني العام، لكنها في الوقت نفسه تحمل بعدًا نقديًا للمجتمع والسياسة.

٣-المبحث الثاني بين أن المرض والصبر يمثلان محورًا رمزيًا مركزيًا في النص، وأن السياب وظف هذه الثنائية لتعميق الأبعاد الإنسانية والاجتماعية للشخصية، وربط تجربة أيوب بمعاناة الإنسان العراقي. فالمرض لم يعد مجرد ابتلاء جسدي، بل أصبح استعارة عن الواقع الاجتماعي والسياسي، بينما الصبر تحول إلى فعل مقاوم وفعل شعري خلاق.

٤-المبحث الثالث أبرز أن أيوب في القصيدة يمثل رمزًا مزدوجًا: الشاعر المبدع والإنسان العراقي المبتلى. ويظهر من خلال تحليل الإيقاع في قصيدة سفر أيوب أن بدر شاكر السياب قد تجاوز حدود الوزن التقليدي إلى فضاءٍ فنيٍّ تتفاعل فيه الموسيقى

مع الفكرة، والشكل مع المضمون، والوجدان مع الإيديولوجيا. فالإيقاع في القصيدة لم يكن تزيينًا لفظيًا، بل أداة فكرية وجمالية للتعبير عن معاناة الشاعر وصراعه بين الفكر المادي والإيمان الروحي، وبين تجربة الألم والبحث عن الخلاص. وهكذا أسّس السيّاب من خلال هذا التوظيف الواعي للإيقاع مدرسةً فنيةً تتوحّد فيها الموسيقى الداخلية والخارجية في خدمة المعنى، مما جعل سفر أيوب نصًّا دالًّا على النضج الشعري والفكري في آنٍ واحد. ويُظهر التحليل النصي كيف أن البنية الرمزية للقصيدة تعتمد على تكرار الصور، والاستعارات، والجسد الرمزي، واللغة المركبة، لخلق نص شعري غني بمستويات دلالية متعددة.

٥–الدراسة أظهرت أن السياب استطاع دمج التراث الديني (سفر أيوب) مع معاناة الواقع العراقي بأسلوب شعري حديث، ما يجعل النص مثالًا حيًا على تأثير الأيديولوجيا في الشعر العربي الحديث، ويمنح الباحثين والقُرّاء أدوات لفهم العلاقة بين الشعر والسياسة والفكر الاجتماعي في الأدب العربي المعاصر.

الهوامش

(١) لسان العرب: ابن منظور /٢١٣

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف/١٢

(٣) تاريخ النقد العربي عند العرب: احسان عباس /٢٢

(٤) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية في لقاهرة/٣٧

(٥) الايديولوجيا واليوتوبيا: كارل مانهايم /٥٤

(٦) الايديولوجيا واليوتوبيا: ريكور /١٥

(٧) مفهوم الايدولوجيا: العروي /٩

(٨)نظرية الرواية: جورج لوكاتش /٤٤

(٩) السياب ونصف قرن من الشعر العربي الحديث: الصكر/٤٥

(١٠) الالتزام في شغر السياب: البصري/٣٣

(١١)الحداثة بين النظرية والتطبيق: حمودة/ ١٠٢

(١٢) ديوان بدر شاكر السياب: السياب ١٩٧١م / ٢١٢.

(١٣)ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٧١م /٢١٤

(١٤) المثقف العربي والتاريخ: الكركي/٢١٢

(١٥) الرؤيا في شعر السياب : صبحي/٨٧

(١٦)بدر شاكر السياب : دراسة في حياته وشعره : عباس، ١٩٦٩م /٢٠١

(١٧) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٧١م/٢١٥

(١٨) السياب والشعر الحديث : بحث في البنية الايقاعية والفنية : العلاق/ ٥٩

(١٩) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٦٢م/٢٣٢

(٢٠) السياب والشعر الحديث: بحث في البنية الايقاعية والفنية: العلاق/٦٦

(٢١) ديوان بدر شاكر السياب: السياب، ١٩٦٢م/٢٣٣

(٢٢) فن الشعر: عباس/ ٢١٠

(٢٣) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٧١م/٢٤٣

(٢٤) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٦٢م/٢٤٣

(٢٥) سفر ايوب، الاصحاح الثاني: الكتاب المقدس/١١٨.

(٢٦) سورة ص: الآية ٤١

(٢٧)جامع البيان: الطبري، ١٥٢/٢٠
(٢٨) الالتزام في شعر السياب : البصري/ ١٤٥
(٢٩) زمن الشعر: ادونيس/ ١٦٧
(٣٠) فن الشعر: عباس/ ٢١٠
(٣١) الشعر والتراث: لؤلؤة/٩٨
(٣٢) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٦٢م /٢٣٦
(٣٣) في الادب الجاهلي : طه حسين/٢٢
(٣٤) ديوان بدر شاكر السياب : السياب، ١٩٧١م /٢٣٣
(٣٥) بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره : احسان عباس/ ٢٢٠
(٣٦) ديوان بدر شاكر السياب: السياب، ١٩٦٢م /٤٥
(٣٧) الرمز الديني في الشعر العراقي الحديث : الجعفري/ ٢١١
(٣٨) الرؤية الصوفية في شعر بدر شاكر السياب : عبد الرحمن/ ٨٧
(٣٩) التجربة الدينية في الشعر العربي الحديث: محمد حسن/٢٠٣
(٤٠) البنية الرمزية في شعر بدر شاكر السياب: الصراف/ ٥٩
(٤١) التحول الرمزي في القصيدة العربية الحديثة: مطر/ ١٣٣
(٤٢) ديوان بدر شاكر السياب: السياب/ ٢٣٤
(٤٣) الالتزام في شعر السياب: البصري/ ١٤٥
(٤٤) فن الشعر: احسان عباس/٢١٢.
(45) ديوان بدر شاكر السياب: السياب، /٢١٤.
(٤٦) الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل/١٥٥.
(47) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة/ ٩٢.
(48) بدر شاكر السياب: دراسة في شعره وحياته، البصري/ ٢٣٣.
(49) الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل الموسى/ ٧٧.
(٥٠) الرؤية الصوفية في شعر بدر شاكر السياب : سامي عبد الرحمن/ ٩١
(٥١) الرمز الديني في الشعر العراقي الحديث: الجعفري/ ١٢٦
(٥٢) البنية الرمزية في شعر بدر شاكر السياب: الصراف/ ٧٧
(٥٣) التحول الرمزي في القصيدة العربية الحديثة: مطر/ ١٤١
(٥٤) التجربة الدينية في الشعر العربي الحديث: محمد حسن/ ٢١٥

(٥٥) ديوان بدر شاكر السياب: السياب/ ٦٢
(٥٦) ديوان بدر شاكر السياب: السياب، ١٩٧١م /٢٣٥
(٥٧) زمن الشعر: ادونيس/ ١٦٧
(٥٨) الشعر والتراث: لؤلؤة/ ١٠٠
(٥٩) الرمزية في الشعر العربي الحديث: الخازن/ ٨٨

المراجع

١. **الالتزام في شعر السياب** [كتاب] / المؤلف عبد الجبار داوود البصري. – بغداد : مطبعة الارشاد، ١٩٧٤م.

٢. **الايديولوجيا واليوتوبيا** [كتاب] / المؤلف بول ريكور. – بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٩٩٧م.

٣. **الايديولوجيا واليوتوبيا** [كتاب] / المؤلف كارل مانهايم. – القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٤. الإيقاع في الشعر العربي الحديث/ المؤلف خليل الموسى، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م .

٥. **البنية الرمزية في شعر بدر شاكر السياب** / المؤلف نزار الصراف. – بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٤م.

٦. **التجربة الدينية في الشعر العربي الحديث** [كتاب] / المؤلف محمد حسن. – عمان : دار ازمنة، ٢٠١١م.

٧. **التحول الرمزي في القصيدة العربية الحديثة** [كتاب] / المؤلف مطر فاضل مطر. – دمشق : دار التكوين، ٢٠١٨م.

٨. **الحداثة بين النظرية والتطبيق** [كتاب] / المؤلف عبد العزيز حمودة. – القاهرة : عالم المعرفة، ١٩٩١م.

٩. **الرمز الديني في الشعر العراقي الحديث** [كتاب] / المؤلف علي الجعفري. – بغداد : دار الينابيع، ٢٠١٧.

١٠. **الرمزية في الشعر العربي الحديث** [كتاب] / المؤلف جهاد الخازن. – القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٨٠م.

١١. **الرؤيا في شعر السياب** [كتاب] / المؤلف محيي الدين صبحي. – بيروت : دار الاداب، ١٩٧١م.

١٢. **الرؤية الصوفية في شعر بدر شاكر السياب** [كتاب] / المؤلف سامي عبدالرحمن. – القاهرة : دار الفكر العربي، ٢٠٠٩م.

١٣. **السياب والشعر الحديث: بحث في البنية الايقاعية والفنية** [كتاب] / المؤلف علي جعفر العلاق. – بغداد : دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٥م.

١٤. **السياب ونصف قرن من الشعر العربي الحديث** [كتاب] / المؤلف حاتم الصكر. – بغداد : دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م.

١٥. **الشعر والتراث** [كتاب] / المؤلف عبد الواحد لؤلؤة. – بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٧م.

١٦. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية/المؤلف عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م

١٧. قضايا الشعر المعاصر/ المؤلف نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م

١٨. **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** [كتاب] / المؤلف شوقي ضيف. – القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٥م.

١٩. **المثقف العربي والتاريخ** [كتاب] / المؤلف خالد الكركي. – عمان : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٠م.

٢٠.**المعجم الفلسفي** [كتاب] / المؤلف مجمع اللغة العربية في لقاهرة. – القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٢١.**بدر شاكر السياب: دراسه في حياته وشعره** [كتاب] / المؤلف احسان عباس. – بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٩م.

٢٢.**تاريخ النقد الادبي عند العرب** [كتاب] / المؤلف احسان عباس. – بيروت : دار الثقافة، ١٩٨٣م.

٢٣.**جامع البيان في تأويل اي القران** [كتاب] / المؤلف الطبري. – بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٤.**ديوان بدر شاكر السياب** [كتاب] / المؤلف بدر شاكر السياب. – بيروت : دار العودة، ١٩٧١م.

٢٥.**ديوان بدر شاكر السياب** [كتاب] / المؤلف بدر شاكر السياب. – بيروت : دار العودة، ١٩٦٢م.

٢٦.**زمن الشعر** [كتاب] / المؤلف ادونيس. – بيروت : دار العودة، ١٩٧٢م.

٢٧.**سفر ايوب ،الاصحاح الثاني** [كتاب] / المؤلف الكتاب المقدس. – بيروت : دار الكتاب المقدس، ١٩٩٣م.

٢٨.**فن الشعر** [كتاب] / المؤلف احسان عباس. – بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م.

٢٩.**في الادب الجاهلي** [كتاب] / المؤلف طه حسين. – القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٠م.

٣٠.**لسان العرب** [كتاب] / المؤلف ابن منظور. – القاهرة : دار المعارف، ١٩٨١م.

٣١.**مفهوم الايديولوجيا** [كتاب] / المؤلف عبد الله العروي. – الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م.

٣٢.**نظرية الرواية** [كتاب] / المؤلف جورج لوكاتش. – بيروت : دار الطليعة، ١٩٧١م.

References

1. Al-Iltizam fi Shi’r al-Sayyab [Book] / Author: Abdul Jabbar Dawood al-Basri. – Baghdad: Al-Irshad Press, 1974.
2. Al-Ideology wa al-Utopia [Book] / Author: Paul Ricoeur. – Beirut: Dar al-Kitab al-Jadid, 1997.
3. Al-Ideology wa al-Utopia [Book] / Author: Karl Mannheim. – Cairo: General Egyptian Book Organization, 1998.
4. Al-Iqaa’ fi al-Shi’r al-Arabi al-Hadith / Author: Khalil al-Mousa. – Damascus: Dar al-Fikr, 2001.
5. Al-Bunya al-Ramziya fi Shi’r Badr Shakir al-Sayyab / Author: Nizar al-Sarraf. – Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 2014.
6. Al-Tajroba al-Diniya fi al-Shi’r al-Arabi al-Hadith [Book] / Author: Muhammad Hasan. – Amman: Dar Azmina, 2011.
7. Al-Tahawwul al-Ramzi fi al-Qasida al-Arabiya al-Haditha [Book] / Author: Matar Fadel Matar. – Damascus: Dar al-Takwin, 2018.
8. Al-Hadatha Bayn al-Nazariya wa al-Tatbiq [Book] / Author: Abdul Aziz Hamouda. – Cairo: Alam al-Ma’rifa, 1991.
9. Al-Ramz al-Dini fi al-Shi’r al-Iraqi al-Hadith [Book] / Author: Ali al-Ja’fari. – Baghdad: Dar al-Yanabee’, 2017.
10. Al-Ramziya fi al-Shi’r al-Arabi al-Hadith [Book] / Author: Jihad al-Khazen. – Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1980.
11. Al-Ru’ya fi Shi’r al-Sayyab [Book] / Author: Mohi al-Din Sobhi. – Beirut: Dar al-Adab, 1971.
12. Al-Ru’ya al-Sufiya fi Shi’r Badr Shakir al-Sayyab [Book] / Author: Sami Abdul Rahman. – Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 2009.
13. Al-Sayyab wa al-Shi’r al-Hadith: Bahth fi al-Bunya al-Iqa’iya wa al-Faniya [Book] / Author: Ali Ja’far al-‘Allaq. – Baghdad: Dar al-Shu’un al-Thaqafiya, 1985.
14. Al-Sayyab wa Nisf Qarn min al-Shi’r al-Arabi al-Hadith [Book] / Author: Hatim al-Sakr. – Baghdad: Dar al-Shu’un al-Thaqafiya, 1987.
15. Al-Shi’r wa al-Turath [Book] / Author: Abdul Wahid Lu’lu’a. – Beirut: Arab Foundation for Studies, 1987.
16. Al-Shi’r al-Arabi al-Mu’asir: Qadhayahu wa Zawahiruhu al-Faniya wa al-Ma’nawiya / Author: Izz al-Din Ismail. – Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 3rd edition, 1998.

17. Qadhaya al-Shi'r al-Mu'asir / Author: Nazik al-Mala'ika. – Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin, 2nd edition, 1967.
18. Al-Fann wa Madhahibuh fi al-Shi'r al-Arabi [Book] / Author: Shawqi Daif. – Cairo: Dar al-Ma'arif, 1995.
19. Al-Muthaqqaf al-Arabi wa al-Tarikh [Book] / Author: Khalid al-Kurki. – Amman: Arab Foundation for Studies, 1990.
20. Al-Mu'jam al-Falsafi [Book] / Author: Arabic Language Academy in Cairo. – Cairo: General Egyptian Book Organization, 1983.
21. Badr Shakir al-Sayyab: Dirasah fi Hayatihi wa Shi'rih [Book] / Author: Ihsan Abbas. – Beirut: Dar al-Thaqafa, 1969.
22. Tarikh al-Naqd al-Adabi 'Ind al-Arab [Book] / Author: Ihsan Abbas. – Beirut: Dar al-Thaqafa, 1983.
23. Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Qur'an [Book] / Author: Al-Tabari. – Beirut: Al-Risala Foundation, 1420 AH.
24. Diwan Badr Shakir al-Sayyab [Book] / Author: Badr Shakir al-Sayyab. – Beirut: Dar al-Awda, 1971.
25. Diwan Badr Shakir al-Sayyab [Book] / Author: Badr Shakir al-Sayyab. – Beirut: Dar al-Awda, 1962.
26. Zaman al-Shi'r [Book] / Author: Adonis. – Beirut: Dar al-Awda, 1972.
27. Safar Ayub, Chapter 2 [Book] / Author: The Holy Bible. – Beirut: Dar al-Kitab al-Muqaddas, 1993.
28. Fann al-Shi'r [Book] / Author: Ihsan Abbas. – Beirut: Dar al-Thaqafa, 1972.
29. Fi al-Adab al-Jahili [Book] / Author: Taha Hussein. – Cairo: Dar al-Ma'arif, 1960.
30. Lisan al-Arab [Book] / Author: Ibn Manzur. – Cairo: Dar al-Ma'arif, 1981.
31. Mafhum al-Ideologya [Book] / Author: Abdullah al-Aroui. – Casablanca: Arab Cultural Center, 1995.
32. Nazariyat al-Riwaya [Book] / Author: George Lukács. – Beirut: Dar al-Tali'a, 1971.